باب النقد والتقريظ

أوراق الورد للرافعي

بقلم حضرة صاحب الامضاء

ليس الرافعي بالمجهول للقراء فنعرفه ولا بالهجين بين الادباء فنعلمه فهو حجة العرب بلا منازع ونابغة الادب بلا مدافع وإمام الصناعتين . وفارس الحلبتين . شاعر مطبوع كما أنه كاتب ضليع ، ومن عجيب ما اطرد فى تاريخ الادباء أن هاتين الخلتين ما اجتمعتا فى فرد إلا قيض له التبريز فى واحدة دون الاخرى لكن الاستاذ الرافعى قد ملك ناصيتهما وأسلس قيادهما . وجلس على القمة منهما وهو مع ذلك غير معني بهما . أو متوفر عليهما إذله من قيود « الوظيفة » البعيدة عنهما شاغل

وإن أروع ما يأخذك من بيان الرافعى هى تلك الوثبات الطامحة التى تجوز حدود العقل وتفوت مدى الافهام والومضات الخاطفة التى تسمو به إلى مواضع الوحى ومواقع الالهام

تقرأه فلا تحس من أى مدخل دخل على نفسك . وخالط وجدانك . وملك عليك لبك

وما أن رأينا أديبا تواضع أئمة الادب فى عصره على سبقه فى حلبة الميدان . وفوزه بقصب السبق فى ساحة البيان غير الاستاذ الرافعى

فقال أمام اللغة وصيرفها المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي فى ديوان شعره

« إن صاحب هذا الديوان جدير بأن يحمل بيننا لواء الادب . و يضفر له اكليل البيان فى دولة العرب » وقال كاتب العربية الأشهر الامير شكيب أرسلان فى جريدة المؤيد كبري جرائد مصر قديما عن « تاريخ آداب العرب » (لو كان هذا الكتاب فى بيت حرام إخراجه للناس لكان جديرا بأن يحج إليه ولو كان يعكف على غير كتاب الله فى نواشىء الاسحار لكان حريا بأن يعكف عليه)

وقال العلامة زكى باشا عن كتابه « المساكين » — « لقد جعلت لنا شكسبير كما للأنجليز شكسبير وهوجو كما للفرنسيين هوجو وجوت كما للالمان جوت »

وقال صاحب الدولة الزعيم الأكبر المرحوم سعد زغلول باشا عن كتابه « إعجاز القرآن

« — في بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم »

وحدث أني منذ أيام كنت في زيارة صديقي الاستاذ فؤاد صروف محرر المقتطف فانزلق بنا الحديث إلى ذكر الرافعي وكتابه «أوراق الورد» فقال « الحق أني معجب بهذا الكتاب غير أن لي عليه مأخذاً لو سلم منه لكان آية في الأعجاز. ذلك أن الحب معين فياض لا ينقطع ماؤه وهو دائم بين الكوائن مادامت الحياة ، وكون الرافعي حدد كتابه بهذه الرسائل ذلك هو منشأ النقص الملحوظ في الكتاب » إلا أنه استأنف هذا الرأي حينما أعلمته أن للاستاذ كتابا آخر في هذا الباب يسمى (مذكرات سنة) سوف — لومد الله في عمره — يخرجه أجزاء في ربيع كل عام وما انصرفنا إلا والكتاب بحق (آية في الأعجاز)

ولبيان الرافعي طابع خاص يطبعه بشخصيته و يفرغ عليه روحه فتستطيع تميزه من بين أساليب الأدباء. لكن شيئا من روحانية الدين يتمشي فيه و يطوف بمعانيه والشيء يحن إلى عنصره و يتحول إلى معدنه. ولاغرو فهو ربيب بيت كانت له الزعامة الدينية في مصر حينا ما. كما أن الازهر كان مهد تربيته الاولى فأشرب حب الدين وراثة ودراسة

وهو يستمد وحي بيانه من سائر العربية في الاكتفاء بالاشارة عن العبارة وصياغة المعنى الجليل في اللفظ القليل واجتناب الايجاز المخل والتطويل الممل وعمدته في ذلك هو (القرآن الكريم) و (الاحاديث النبوية الشريفة) و (مذاهب فصحاء العرب) لذلك تراه دائما يجنح في الكلام إلى صور الشعر في طريقة التأدى إلى النفس و إلى لغة الشعر في بنائها القائم على تأليف أسرار المعاني وترجمتها للنفس ترجمة عاطفية موسيقية التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية فيصوغ المعني الدقيق في أسلوب رقيق و يصب اللغة صبا يجعل طبائع المعاني كأنها تتكلم وتخرج صورها الكلامية وكأنها ضرب من الابداع العقلي فيه شيء من الجلال والرهبة والاقناع. بل فيه سر القوة الغامضة في معني الخلق والابداع ولعل ذلك هو الذى أضل كثيرا من الناقدين في الحكم عليه

على أن جماع الذين عرضوا لبيان الرافعي لم يأخذوا عليه غير الاغراب في اللغة والتنميق في الاسلوب والتسامي على مدارك الجمهور

ولعل منشأ الخطأ في هذا الحكم هو الظن بان الرافعي ثمرة هذا العصر أو نتيجة هذا الجيل مع أن العبقرية لا يكونها عصرها ، و ينضجها جيلها ، وأشد ما تكون نتائجها ظهورا في عصور التحول والاضطراب والانحلال و بدء التقلبات الاجتماعية

ولقد نشأ الرافعي في عصر انتقال تناول مصر من جميع نواحيها

وهذا (أنا تول فرانس) الاديب الفرنسي المشهور كان يدفع بكتابه إلي المطبعة ثم إذا أعيدت اليه التجربة (البروفة) تناولها بالنقد والتنقيح فقدم فيها وأخر . و بدل وغير ومحا وأضاف ما شاءت له مواهبه وهدته اليه عبقريته وهكذا كان يفعل بتجارب الكتاب أكثر من خمس مرات وما كان كل هذا التغيير يتناول أكثر من لفظ يجده أكثر ملاءمة للمعني وأحلي موسيقية في المبني وما كان يكتفي بهذا وحسب بل يقيد خواطر كانت تعن له علي هامش الكتاب ليزيدها في طبعته الثانية

وكان أديسون يمكث أياما يبحث عن لفظ يجده أكثر أداء للمعنى المراد وكذلك كان يفعل كثير من أدباء الغرب مثل فلوبر وجونسون

ومن عجيب ماوقع للادب في مظهريه القديم والحديث أنه خلا من رسائل في تحليل الجمال وتعليل الحب مع استواء الزعامة البيانية للعرب في كل ناحية طرقوها ومع مالأدبائهم من شغف بالنساء. فهذى رسائل الجاحظ والبديع والصابى والخوارزمى وغيرهم تقرأها فلاتجد تصريحا أو تلميحا لهذا الباب اللهم إلا مالشعرائهم (كقيس وكثير ونصيب وابن أبي ربيعة) من قصائد فيها شيء من الخصوبة في حين أن الادب الأفرنجي يموج بتلك الصور ويفيض بهذه الروح اليقظى ففيه رسائل (جان جاك روسو والفريد ديمسيه وجورج صاند ومدام ـ دى ـ استايل في انجلترا) (ولورد بيرون وأنا تول فرانس ولامارتين في فرانسا) و (غوته في المانيا)

رأى الأستاذ الرافعي هذه الثلمة في أدبنا العربي فانبرى لسدها ورأب صدعها بكتابيه الشهيرين (رسائل الاحزان والسحاب الأحمر) وهاهوذا يطالعنا بثالثهما (أوراق الورد) في ثلثمائة صفحة وهو أربعون رسالة (تطارحها شاعر روحانى وشاعرة روحانية) تحايا حبا عقليا على الطريقة الافلاطونية فكانت بينهما كل هذه الرسائل التى صاغها بأسلوبه الساحر وتغنى بها على قيثارة من الشعر المنثور (في بيان كأنه تنزيل من التنزيل أوقبس من نور الذكر الحكيم) يكاد يسمعك رنين أوتار قلبك ؟ محمد الصاوي عمار

تاريخ فلاسفة الاسلام

كتاب قيم ديجه يراع البحاثة المدقق الأستاذ محمد لطفي جمعه المحامى المعروف، والكاتب الكبير وبما ان هذا السفر القيم جمع ماتفرق في شتات الكتب والمؤلفات ولاتكفى فيه المامة صغيره فانا نرجئ الكتابة عنه الى فرصة اخرى